مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١٢ كانون الاول ١٩٢٣م — ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٣٤٢ المجلد ٣

طبقات الحنابلة

وقفتُ على قطعة صالحة من هذه الطبقات المخطوطة في مكتبة زميلي العلاّمة الشيخ سعيد الكرمي احد اعضاء مجمعنا وهي بخط قديم خرمت من اولها وآخرها تقع في ٢٦٨ صفحة بقطع كامل من النصف العادي . ويليها كتاب آخر في الحديث ربط معها بمجلّد واحد . ولا تخلو هذه النسخة من تصحيف لان الخط كان غير منقوط ثم نقط بعد ذلك فاصلحتُ ما امكن اصلاحه مما انتخبته هنا

ومما بقي من التراجم فيها سيرة ١٦٧ علماً اولها ترجمة يعقوب بن ابرهيم بن احمد بن سطور العكبري البرزيني من اهل القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للميلاد وآخرها ترجمة عبدالله بن علي الفرايرمن اهل القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد والمترجمون فيه معظمهم عراقيون . توسع المؤلف في تراجم العظماء منهم وأفاض في أوصافهم واعمالهم بكل استقراء ونقصٍ . وممن أطال في سيرته يحيى بن محمد بن هبيرة العالم العادل صدر الوزراء الذي وصفه بالمعلم الواسع والرئاسة التامة فجاءت ترجمته في نحو اربعين صفحة . ومما اوردهُ من شعره قوله :

يلذُّ بهذا العيش من ليس يعقلُ ... ويزهد فيه الأَلمعيُّ المحصّلُ
وما عجب نفسي ان ترى الرأي انما ... الهجيبة نفس مقتضى الرأي تفعلُ
الى الله اشكو همة دنيويةً ... ترى النصر الاّ انها تتأوّلُ
ينهنهها موت النبيه فترعوي ... ويخدعها روح الحياة فتغفلُ
وفي كل جزء ينقضي من زمانها ... من الجسم جزءٌ مثلهُ يتحلّلُ
فنفس الفتى في سهوها وهي تنقضي ... وجسم الفتى في شغله وهو يعملُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما جاء فيه من المنظومات المستشهد بها قول بعضهم منشداً لغيره :

ولا تمشِ فوق الارض الاَّ تواضعاً فكم تحتها قوم همُ منك أرفعُ
فان كنتَ في عزٍّ وحرزٍ ومنعةٍ فكم مات من قومٍ همُ منك امنعُ

وقولُ الدينوري البغدادي منشداً ايضاً :

تمنَّيتَ ان تمسي فقيهاً مناظراً بغير عناءٍ والجنون فنونُ
وليس اكتساب المال دون مشقَّةٍ تلقَّيتها فالعلم كيف يكونُ

ومن اشعار المترجمين ما انشدهُ ابرهيم بن دينار لنفسه :

يا دهرِ ان جارت صروفك واعتدت ورميتني في ضيقةٍ وهوانِ
أنى اكون عليك يوماً ساخطاً وقد استفدتُ معارف الاخوانِ

وانشد بعض الشعراء حين موت يحيى بن محمد بن هبيرة :

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى ملكاً ماجداً بهِ يستمانُ
واذا مات من زمانٍ كريم مثل يحيى بهِ يموتُ الزمانُ

وقال ابن القطيعي انشدني ... سعدالله بن الدجاجي لنفسهِ :

ملكتمُ مهجتي بيعاً ومقدرةً فانتم اليوم أغلالي وأغلى لي
علوتُ فخراً ولكني ضنيتُ هوًى فانتم اليوم إعلالي وأعلى لي

وزاد بعضهم ثالثاً لهما بقولهِ :

أوصى ليَ البينُ أن اشقى بحبكمُ فقطع البين اوصالي واوصى لي

وانشد ابو الخطاب الكلوداني لنفسهِ :

أنا شيخ وللمشايخ بالآداب علم يخفى على الشبَّانِ
فاذا ما ذكرتني فتأيَّد(١) فهو قرضٌ يُردُّ بالميزانِ

وقال ابن الجوزي ينشد تحت دار امير المؤمنين المستضيءُ :

ستنقلك المنايا عن ديارك وُيبدلك الرَّدى داراً بدارك
وتترك ما عنيتَ بهِ زماناً وتنقل من غناك الى افتقارك

(١) كذا في الاصل ولعلها فتأبَّه او فتأدب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فدود القبر في عينيك يرعى وترعى عين غيرك في ديارك

ومن منظومات المترجمين قول احدهم

اصبحتُ في الناس حرًّا غير ممقوتِ اذا رضيتُ بميسورٍ من القوتِ
ياقوتَ نفسي اذا ما درَّ خلقك لي فلستُ اثني على درٍّ وياقوتِ

وقول الآخر:

عجبًا لي وقد مررتُ بآثارك أني اهتديتُ نهج الطريقِ
أتراني انسيتُ عهدك فيها صدقوا (ما لميّتٍ من صديقِ)

وما ألطف قول بعضهم:

وكم شامت بي عند موتي جاهلٍ بظلمٍ يسلُّ السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا ينالُهُ من الضرّ بعدي مات قبل مماتي

وقول الآخر وفيه منتهى الحلم والحكمة:

واني لأترك عور الكلام لئلاَّ أجابَ بما أكرهُ
أصمُّ عن الكلم المحفظات واحلمُ والحلم بي أشبهُ
إذا ما أثرتُ سفاهَ السفيهِ علي فانيَ لا اسفهُ
فكم من فتى يعجب الناظرين لهُ ألسنٌ وله أوجُهُ
ينام اذا حضر المكرمات وعند الدناءة يستنبهُ

وذكر في ترجمة ابي محمد التميمي من اهل القرن الخامس للهجرة: «ان لهُ شعراً حسناً قال ابن السمعاني: انشدنا هبة الله بن طاوس بدمشق انشدنا التميميّ لنفسهِ:

وما شانَ الشيب من اجل لونهِ ولكنهُ حادٍ الى البين مسرعُ
اذا ما بدت منه الطليعة آذنت بأن المنايا خلفها تتطلعُ
فان قصَّها المقراض صاحت بأختها فتظير تتلوها ثلاثٌ واربعُ
وان خُضبت حال الخضاب لأنَّهُ يغالب صنع الله والله أصنعُ
فيضحي كريش الديك فيه تلمُّعٌ وأفظع ما يكساهُ ثوبٌ ملمَّعُ
اذا ما بلغت الاربعين فقل لمن يودُّك فيما تشتهيه ويسرعُ
هلمُّوا لنبكي قبل فرقة بيننا فما بعدها عيش لذيذٌ ومجمعُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخلّي التصابي والخلاعة والهوى وأمّ طريق الحق فالحق أنفعُ
وخذ جنة تنجي وزاداً من التقى وصحبة مأمونٍ فقصدك مُفزِعُ

وهذا من ابلغ ما قيل في وصف الشيب وما يعقبه من الاستعداد للموت والتزوُّد بصالح الاعمال

ومن احسن ما يختم به وصف الكتاب قول الشريف ابي علي الحسن بن عبد الصمد بن المتوكل على الله العباسي الهاشمي القرشي المتوفى سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) بجيزاً:

أجزتُ للسادة الاخيار ما سألوا فليروا (١) عني بلا بخسٍ ولا كذبِ
مما أحبُّوهُ من شعرٍ ومن خبرٍ ومن جميع سماعاتي من الكتبِ
وليحذروا السهو والتصحيف من غلطٍ ويسلكوا سنّة الحفّاظ في الأدبِ

وقولُهُ متفنناً:

بشرقي بغداد لي حاجةٌ ساقضي وما خلتها تنقضي
ديونٌ على ماطلٍ ظالمٍ ووجد بمستكبرٍ مُعرضِ
احنُّ اليهِ حنين المحبّ ويهجرني هجرة المبغضِ

وقولُهُ في التعفف بالهوى:

ألا بأبي من صدّ عني وانهُ على صدّهِ شخصٌ اليّ حبيبُ
تجنبني خوف الوشاة وفي الحشى رسيس جوًى ما ينقضي ووجيبُ
ولي كبد حرّى عليه قريحةٌ وقلبٌ معنًى في هواهُ يذوبُ
همُ نسبوا حبّي الى غير عفّةٍ وظنُّوا بنا سوءًا وذلك حوبُ
ووالله ما حدّثتُ نفسي بريبةٍ وحاشا لمثلي ان ينالَ : مريبُ

وقوله يفتخر بأنه حنبليٌّ:

يا ذا الذي اضحى يصول ببدعةٍ وتشيُّع وتمشعر وتمعزلِ

---

(١) لا يستقيم الوزن بدون اسقاط واو الجماعة ولو قال (يروون عني) لتخلص من هذه الضرورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لا تنكرنّ تحنبلي وتسنُّني فعليهما يوم المعاد معوّلي
ان كان ذنبي حبُّ مذهب احمدٍ فليشهد الثقلانِ أني حنبلي

هذا ما جال بهِ القلم في انتخاب بعض أمثلةٍ مختلفة من شعر هذه الطبقات اما التراجم فمطوّلة لا ينفسح المجال لذكر شيءٍ منها وفي القليل غنى الكثير

عيسى اسكندر المعلوف